

## التحرير والتنوير

وجملة ( لا ينطقون ) مضاف إليها ( يوم ) أي هو يوم يعرف بمدلول هذه الجملة وعدم تنوبين ( يوم ) لأجل إضافته إلى الجملة كما يضاف ( حين ) . والأفضل في هذه الأزمان ونحوه إذا أضيف إلى جملة مفتوحة بـ ( لا ) النافية أن يكون معربا وهو لغة مصر العليا . وأما مصر السفلية فهم يبنونه على الفتح دائمًا .

عليه يتفرع إذنا يؤذن لا أي ( ينطقون لا ) جملة على ( فيعتذرون لهم يؤذن ولا ) وعطـ A اعتذارهم أي لا يؤذن لهم في الاعتذار . فالاعتذار هو المقصود بالنفي وجعل نفي الإذن لهم توطئة لنفي اعتذارهم ولذلك جاء ( فيعتذرون ) مرفوعا ولم يجيء منصوبا على جوانب النفي إذ ليس المقصود نفي الإذن وترتـ بـ نفي اعتذارهم على نفي الإذن لهم إذ لا محصول لذلك لم يكن نصب ( فيعتذرون ) مساويا للرفع بل ولا جائزـا بخلاف نحو ( لا يقضى عليهم فيموتوا ) فإن نفي القضاء عليهم وهم في العذاب مقصود لذاته لأنـه استمرار في عذابـهم ثم أجـيبـ بأنه لو قضـي عليهم لما تـوا أي فقدـوا الإحساس فمعنى الجوابـية هـنالـك مما يقصدـ . ولـذا فلا حاجة هنا إلى ما ادعـاه أبو البقاءـ أن ( فيعتذرون ) استئنافـ تقدـيرـه : فـهم يـعتذرون ولا إلى ما قالـه ابن عـطيـة تـبعـا للـطـبـريـ : إنـه يـنصـبـ لأـجلـ تـشـابـهـ رـؤـوسـ الآـيـاتـ وـبـعـدـ فإنـ منـاطـ النـصـبـ في جـوابـ النـفـيـ قـمـدـ المـتـكـلـمـ جـعلـ الـفـعـلـ جـوابـاـ لـلـنـفـيـ لـاـ مجـرـدـ وجودـ فـعـلـ مـضـارـعـ بـعـدـ فـعـلـ منـفـيـ . وـاعـلـمـ أـنـهـ لـاـ تـعـارـضـ بـيـنـ هـذـهـ الـآـيـاتـ وـبـيـنـ الـآـيـاتـ الـتـيـ جـاءـ فـيـهاـ مـاـ يـقـضـيـ أـنـهـمـ يـعـتـذـرـونـ نحوـ قولـهـ تعـالـىـ ( قالـواـ رـبـنـاـ أـمـتـنـاـ اـثـنـتـيـنـ وـأـحـيـتـنـاـ اـثـنـتـيـنـ فـاعـتـرـفـنـاـ بـذـنـوبـنـاـ فـهـلـ إـلـىـ خـرـوجـ مـنـ سـبـيلـ )ـ لـأـنـ وـقـتـ اـنـتـفـاءـ نـطـقـهـمـ يـوـمـ الفـصلـ .

وـأـمـاـ نـطـقـهـمـ الـمـحـكـيـ فيـ قولـهـ ( رـبـنـاـ أـمـتـنـاـ اـثـنـتـيـنـ )ـ فـذـلـكـ صـراـخـهـمـ فيـ جـهـنـمـ بـعـدـ اـنـقـضـاءـ يـوـمـ الفـصلـ وـبـنـحـوـ هـذـاـ أـجـابـ اـبـنـ عـبـاسـ نـافـعـ بـنـ الـأـزـرـقـ حـينـ قـالـ نـافـعـ : إـنـيـ أـجـدـ فيـ الـقـرـآنـ أـشـيـاءـ تـخـتـلـفـ عـلـيـ قـالـ إـنـ ( وـلـاـ يـتـسـأـلـوـنـ )ـ وـقـالـ ( وـأـقـبـلـ بـعـضـهـمـ عـلـىـ بـعـضـ يـتـسـأـلـوـنـ )ـ فـقـالـ اـبـنـ عـبـاسـ : لـاـ يـتـسـأـلـوـنـ فـيـ النـفـخـةـ الـأـوـلـىـ حـينـ نـفـخـ فـيـ الصـورـ فـصـعـقـ مـنـ فـيـ السـمـاـوـاتـ وـمـنـ فـيـ الـأـرـضـ فـلـاـ يـتـسـأـلـوـنـ حـيـنـئـذـ ثـمـ فـيـ النـفـخـةـ الثـانـيـةـ أـقـبـلـ بـعـضـهـمـ عـلـىـ بـعـضـ يـتـسـأـلـوـنـ .ـ وـالـذـيـ يـجـمـعـ الـجـوابـ عـنـ تـلـكـ الـآـيـاتـ وـعـنـ أـمـتـالـهـاـ هـوـ أـنـهـ يـجـبـ التـنبـيـهـ إـلـىـ مـسـأـلـةـ الـوـحدـاتـ فـيـ تـحـقـقـ التـنـاقـضـ .

( وـيلـ يـوـمـئـذـ لـلـمـكـذـبـينـ [ 37 ] )ـ تـكـرـيرـ لـتـهـدـيدـ الـمـشـرـكـينـ مـتـصـلـ بـقولـهـ ( هـذـاـ يـوـمـ لـاـ يـنـطـقـوـنـ )ـ الـآـيـةـ عـلـىـ أـوـلـ الـوـجـهـيـنـ فـيـ مـوـقـعـ ذـلـكـ أـوـ هـوـ وـارـدـ لـمـنـاسـبـةـ قولـهـ ( هـذـاـ يـوـمـ لـاـ يـنـطـقـوـنـ )ـ عـلـىـ ثـانـيـ الـوـجـهـيـنـ الـمـذـكـورـيـنـ فـيـهـ فـيـكـونـ تـكـرـيرـاـ لـنـظـيرـهـ الـوـاقـعـ بـعـدـ قولـهـ ( اـنـطـلـقـوـاـ إـلـىـ مـاـ

كنتم به تكذبون ) إلى قوله ( صفر ) اقتضى تكريره عقبه أن جملة ( هذا يوم لا ينطقون )  
الخ تتضمن حالة من أحوالهم يوم الحشر لم يسبق ذكرها فكان تكرير ( ويل يومئذ للمكذبين )  
بعدها لوجود مقتضي تكرير الوعيد للسامعين .

( هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين [ 38 ] فإن كان لكم كيد فكيدون [ 39 ] ) تكرير  
لتوبيخهم بعد جملة ( انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون ) شيع به القول الصادر بطردهم  
وتحقيرهم فإن المطرود يشيع بالتوبيخ فهو مما يقال لهم يومئذ ولم تعطف بالواو لأنها وقعت  
موقع التذليل للطرد وذلك من مقتضيات الفصل سواء كان التكرير بإعادة اللفظ والمعنى أم  
كان بإعادة المعنى والغرض .

والإشارة إلى المشهد الذي يشاهدونه من حضور الناس ومعدات العرض والحساب لفصل القضاء  
بالجزاء .

والإخبار عن اسم الإشارة بأنه يوم الفصل باعتبار أنهم يتصورون ما كانوا يسمعون في  
الدنيا من محاجة عليهم لإثبات يوم يكون فيه الفصل وكأنوا ينكرون ذلك اليوم وما يتعدرون  
بما يقع فيه فصارت صورة ذلك اليوم حاضرة في تصورهم دون إيمانهم به فكانوا الآن متلهفين  
لأن يوقنوا بأن هذا هو اليوم الذي كانوا يوعدون بحلوله وقد عرف ذلك اليوم من قبل بأنه  
يوم الفصل أي القضاء وقد رأوا أحبة القضاء .

وحملة ( جمعناكم والأولين ) بيان للفصل بأنه الفصل في الناس كلهم لجزاء المحسنين  
والمسين كلهم فلا جرم جمع في ذلك اليوم الأولون والآخرون قال تعالى ( قل أن الأولين  
والآخرين لمجموعون إلى ميزات يوم معلوم )